الجزء الثالث والعشرون — سورة الصافات
بسم الله الرحمن الرحيم
وَالصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَالزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَالتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾
إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ﴿٤﴾ رَّبُّ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ
الْمَشَٰرِقِ ﴿٥﴾ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَآءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا
مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ
مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ
الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾ فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا
أَم مَّنْ خَلَقْنَآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴿١١﴾ بَلْ عَجِبْتَ
وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ
﴿١٤﴾ وَقَالُوٓا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا
أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَءَابَآؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ
﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا
يَوْمُ الدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾
احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ
اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ الْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾
٤٤٦

معانى الكلمات :

يقذفون من كل جانب : يرجمون من كل ناحية .

دحوراً : إبعاداً وطرداً .

واصب : دائم لا ينقطع .

خطف الخطفة : التقط الكلمة بسرعة خفية .

فأتبعه شهاب ثاقب: فلحقه كوكب مضىء فأحرقه .

لازب : لازم ملتزق بعضه ببعض .

داخرون : صاغرون أذلاء .

زجرة واحدة : صيحة واحدة .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن نتعرف على طوائف الملائكة وعظمتها المقررة لعظمة خالقها الذى لا إله غيره .

٢ ـ أن ندرس الحكمة من وجود النجوم فى السماء .

٣ ـ أن نؤمن أن الشياطين حرموا من استراق السمع ، وأن البعث لابد منه .

المحتوى التربوى :

هذه السورة مكية تستهدف بناء العقيدة فى النفوس ، وتخليصها من شوائب الشرك فى كل صوره وأشكاله ، ولكنها بصفة خاصة ـ تعالج صورة معينة من صور الشرك التى كانت سائدة فى البيئة العربية الأولى ، هى الصورة التى كانت جاهلية العرب تستسيغها ، وهى تزعم أن هناك قرابة بين الله ـ سبحانه ـ وبين الجن ، وتستطرد فى تلك الأسطورة فتزعم أنه من التزاوج بين الله ـ تعالى ـ والجنة ولدت الملائكة ، ثم تزعم أن الملائكة إناث ، وأنهن بنات الله .

هذه الأسطورة تتعرض لحملة قوية فى هذه السورة تكشف عن تهافتها وسخفها ، ونظراً لأنها هى الموضوع البارز الذى تعالجه السورة ، فإنها تبدأ بالإشارة إلى طوائف من الملائكة يقسم الله عز وجل بها ؛ إظهاراً لعظم شأنها وكبر فوائدها ، وتنبيها إلى الاعتبار بصفتها وما تستدعيه من سمتها .

يقول النسفى : « أقسم سبحانه وتعالى بطوائف الملائكة أو بنفوسهم الصافات أقدامها فى الصلاة ، فالزجرات السحاب سوقا أو عن المعاصى بالإلهام ، فالتاليات لكلام الله من الكتب المنزلة وغيرها ، وهو قول ابن عباس وابن مسعود ومجاهد ، أو بنفوس العلماء العمال الصافات أقدامها فى التهجد وسائر الصلوات ، فالزجرات بالمواعظ والنصائح ، فالتاليات آيات الله والدارسات شرائعه، أو بنفوس الغزاة فى سبيل الله التى تصف الصفوف، وتزجر الخيل للجهاد، وتتلو الذكر مع ذلك » .

يقسم الله سبحانه بهذه الطوائف من الملائكة على وحدانيته ، فليس له شريك فى الإلهية فأخلصوا له الحب والخوف والرجاء وسائر أنواع العبادة ، والله سبحانه رب السموات والأرض وما بينهما ، فهو الخالق لهذه المخلوقات والرازق لها ، المدبر لها ، فكما أنه لا شريك له فى ربوبيته إياها ، فكذلك لا شريك له فى ألوهيته ، وكثيراً ما يقرر تعالى توحيد الإلهية بتوحيد الربوبية لأنه دال عليه ، وقد أقر به أيضاً المشركون فى العبادة ، فيلزمهم بما أقروا به على ما أنكروه :

وخص الله المشارق بالذكر ، لدلالتها على المغارب ، أو لأنها مشارق النجوم التى يذكر لها فائدتين عظيمتين : إحداهما : كونها زينة للسماء ؛ إذ لولاها لكانت السماء جرما مظلما لا ضوء فيها ، ولكن زينتها فيها لتستنير أرجاؤها وتحسن صورتها ، ويهتدى بها فى ظلمات البر والبحر ، ويحصل فيها من المصالح ما يحصل ، والثانية : حراسة السماء عن كل شيطان مارد يصل بتمرده إلى استماع الملأ الأعلى ، وهم الملائكة ، فإذا استمعت قذفتها بالشهب الثواقب من كل جانب طرداً لهم ، وإبعاداً عن استماع ما يقول الملأ الأعلى ، فهم فى الدنيا مرجومون بالشهب ، وقد أعد لهم فى الآخرة نوعًا من العذاب دائمًا غير منقطع .

ولولا أنه تعالى استثنى لكان ذلك دليلا على أنهم لا يستمعون شيئاً أصلا ، ولكن استثنى من تلقف من الشياطين المردة ، الكلمة الواحدة على وجه الخفية والسرقة ، وتارة يدركه الشهاب قبل أن يوصلها إلى أوليائه فينقطع خبر السماء وتارة يخبر بها قبل أن يدركه الشهاب فيكذبون معها مائة كذبة يروجونها بسبب الكلمة التى سمعت من السماء .

ولما بين هذه المخلوقات العظيمة قال . اسأل منكرى خلقهم بعد موتهم ، هل إيجادهم بعد موتهم أشد خلقا وأشق أم من خلقنا من هذه المخلوقات ؟ فلا بد أن يقرر أن خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ، ومن هان عليه خلق هذه الخلائق العظيمة كان خلق البشر أهون عليه ، وذكر خلقهن من طين احتجاجًا عليهم بأن الطين اللازب الذى خلقوا منه تراب . فمن أين استنكروا أن يخلقوا من تراب .

يقول صاحب الأساس : « هذه الآية جسر للانتقال إلى موضوع اليوم الآخر ، وهى جسر يبين أن موضوع اليوم الآخر مرتبط بموضوع الإيمان بالله ، فالسياق أشعرنا أن مجرد معرفة أن الله هو الخالق لما ذكر ، فهذا يقتضى إيماناً بالبعث ، والسياق أشعرنا أن الكافرين لا يعطون هذا

اللازم حقه ، ومن ثمَّ أمر الله سبحانه رسوله أن يوجه لهم هذا السؤال ليقيم عليهم الحجة من خلاله ، ومن هذا نفهم أن الذى لا يؤمن باليوم الآخر ليس مؤمناً بالله أصلاً » .

ثم يلتفت السياق إلى عجب الرسول ﷺ من تكذيب من كذب بالبعث ، بعد أن أراهم الله من الآيات العظيمة والأدلة المستقيمة ، وهو حقيقة محل عجب واستغراب ؛ لأنه مما لا يقبل الإنكار ، وأعجب من إنكارهم وأبلغ منه أنهم يسخرون ممن جاء بالخبر عن البعث ، فلم يكفهم مجرد الإنكار ، حتى زادوا السخرية بالقول الحق ، ومن العجب أيضاً أنهم إذا ذكروا ما يعرفون فى فطرهم وعقولهم وفطنوا له ، وألفت نظرهم إليه لا يذكرون ذلك ، ومن العجب أيضاً أنهم إذا أقيمت عليهم الأدلة يسخرون منها ويعجبون ، ومن العجب أيضاً قولهم للحق لما جاءهم ما هو إلا سحر ظاهر ، وما هو الذى سموه سحراً ؟ إنه البعث ، فهم يتساءلون سؤال إنكار أنبعث إذا كنا تراباً وعظاماً أو أيبعث أيضاً آباؤنا الأقدمون ؟ ويعنون أنهم أقدم ، فبعثهم أبعد وأبطل .

ولما كان هذا منتهى ما عندهم وغاية ما لديهم ، أمر الله رسوله أن يجيبهم بجواب مشتمل على ترهيبهم ، فقال : قل نعم ستبعثون أنتم وآباؤكم الأولون وأنتم ذليلون صاغرون ، لا تمتنعون ولا تستعصون على قدرة الله ، وما هى إلا صيحة واحدة فإذا هم أحياء بصراء ينظرون إلى سوء أعمالهم أو ينتظرون ما يحل بهم ، وعندئذ يرجعون على أنفسهم بالملامة ، ويعترفون بأنهم كانوا ظالمين لأنفسهم فى الدار الدنيا، فإذا عاينوا أهوال القيامة ندموا كل الندم حيث لا ينفعهم الندم ، وقالوا : هذا اليوم الذى ندان فيه أى نجازى بأعمالنا ، والويل كلمة يقولها وقت الهلكة ، ويقال لهم على وجه التقريع والتوبيخ : هذا يوم القضاء الذى كنتم به تكذبون ، ثم يؤمر بهم إلى النار التى بها كانوا يكذبون ، فيقال : احشروا الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والشرك والمعاصى ، وأزواجهم الذين من جنس عملهم كل يضم إلى من يجانسه فى العمل ، وما كانوا يعبدونها من الأصنام والأنداد فاجمعوهم وسوقوهم سوقا عنيفا إلى جهنم، وبعد ما يتعين أمرهم إلى النار يقال : قفوهم قبل أن توصلوهم إلى جهنم ، إنهم مسؤلون عما كانوا يفترونه فى الدنيا ، ليظهر على رؤوس الأشهاد وكذبهم وفضيحتهم .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا :

١ ـ الملائكة خلق عظيم من خلق الله تعالى ـ مطيعون لربهم ، عابدون له منفذون لأوامره يجب الإيمان بهم .

٢ ـ الشياطين أعداء الإنسان ولا يجوز طاعتهم ، وهم لا يملكون نفعا ولا ضراً ، ولا يعلمون غيباً .

٣ ـ عدم الانتفاع بالإيمان عند معاينة العذاب .

مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ
عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٨﴾
قَالُواْ بَل لَّمْ تَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ
بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾
فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ
﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ
لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا
لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّكُمْ
لَذَآئِقُواْ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ
﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾
فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ
﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍۭ ﴿٤٥﴾ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ
﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ
ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ
بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ ﴿٥١﴾

٤٤٧

معانى الكلمات :

مستسلمون عاجزون جميعاً عن الانتصار .

سلطان : قوة وقدرة .

طاغين : مجاوزين الحد فى العصيان .

بكأس : بخمر أو بقدح فيه خمر .

معين : شراب نابع من عيون الجنة .

ينزفون : يسكرون .

بيض مكنون : لؤلؤ مستور .

قرين : مرافق .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن نؤمن بقدرة الله تعالى على بعث الناس بعد موتهم للحساب والجزاء .

٢ ـ أن نتعرف على موقف المعاندين المستهزئين يوم القيامة وما سيلاقونه من عذاب .

٣ ـ أن نعلم جزاء عباد الله المخلصين وما سيكونون فيه من نعيم وتكريم لنسارع بالعمل حتى نكون منهم .

المحتوى التربوى :

هاهم أولاء قد هدوا إلى صراط الجحيم ، ووقفوا على استعداد للسؤال وها هو ذا الخطاب يوجه إليهم بالتفريغ فى صورة سؤال برىء ما لكم لا ينصر بعضكم بعضًا وأنتم هاهنا جميعاً ؟ وكلكم فى حاجة إلى الناصر المعين ؟! ومعكم آلهتكم التى كنتم تعبدون ، ولا جواب بطبيعة الحال ولا كلام، إنما يرد التعليق والتعقيب بأنهم منقادون لأمر الله ، لا يخالفونه ولا يحيدون عنه ، أو قد أسلم بعضهم بعضا ، وخذله عن عجز ، فكلهم مستسلم غير منتصر .

ثم أقبلوا فيما بينهم يلوم بعضهم بعضا على إضلالهم وضلالهم ، فقال الأتباع للمتبوعين : إنكم كنتم تحملوننا على الضلال ، وتقهروننا بالقدرة منكم علينا ؛ لأنا كنا أذلاء وكنتم أعزاء ،

فقال القادة والرؤساء من الجن والإنس للأتباع : بل أبيتم أنتم الإيمان ، وأعرضتم عنه مع تمكنكم منه ، مختارين له على الكفر غير ملجئين ، وما كان لنا من تسلط نسلبكم به تمكنكم واختياركم بل كنتم قوما مختارين للطغيان ، فلزمنا جميعاً وعيد الله بأنا لذائقون لعذابه لا محالة ، لعلمه بحاله .

ثم بينوا أن ضلال الفريقين ووقوعهم فى العذاب كان أمراً مقضياً لا محيص لهم عنه ، وإن غاية ما فعلوا بهم أنهم دعوهم إلى الغى لأنهم كانوا على الغى فأحبوا أن يكونوا مثلهم ، وفيه إيماء بأن غوايتهم فى الحقيقة ليست من قبلهم؛ إذ لو كان كل غواية لإغواء غاوٍ فمن أغواهم ، وإن الأتباع والمتبوعين يشتركون فى العذاب يومئذ ، كما كانوا مشتركين فى الغواية .

ومثل ذلك الفعل نفعل بالمشركين ، الذين كانوا إذا سمعوا بكلمة التوحيد استكبروا وأبوا إلا الإشراك ، فهم يستكبرون أن يقولوها كما يقولها المؤمنون ، ويقولون : أنحن نترك عبادة آلهتنا وآلهة آبائنا عن قول هذا الشاعر المجنون ، يصفون رسول الله ﷺ بذلك ، وحاشاه .

يقول صاحب الأساس : « إن هذا يدل على أن أصل البلاء ومشكلته الكبرى هو الشرك ، وأن الداء الذى ينبع عنه كل شر هو الشرك ، فعنه ينبثق الكفر باليوم الآخر ، وعنه ينبثق الكفر بالرسل عليهم الصلاة والسلام ، ومن ثم قلنا : إن السياق الرئيسى للسورة يصب فى موضوع التوحيد والمواضيع الأخرى التى تتحدث عنها السورة كلها تتفرع عن هذا الأصل » .

ثم يكمل التعليق متوجهاً فيه بالتأنيب والتقبيح لقائلى هذا الكلام المرذول ، فرد عليهم بأن ما جاء به من التوحيد حق قام به البرهان وتطابق عليه المرسلون ، ومجيئه صدق المرسلين ، فلولا مجيئه وإرساله لم يكن الرسل صادقين ، فهو آية ومعجزة لكل رسول قبله ؛ لأنهم أخبروا به وبشروا ، وأخذ الله عليهم العهد والميثاق ، لئن جاءهم ليؤمنن به ولينصرنه ، وأخذوا ذلك على أممهم ، فلما جاء ظهر صدق الرسل الذين قبله ، وتبين كذب من خالفهم ، فلو قدر عدم مجيئه ، وهم قد أخبروا به لكان ذلك قادحًا فى صدقهم، وصدق أيضاً المرسلين بأن ما جاء بها جاؤوا به ، ودعا إلى ما دعوا إليه ، وآمن بهم ، وأخبر بصحة رسالتهم ونبوتهم وشرعهم .

ثم أخبر الله تعالى بالقول الفصل الذى لا يحتمل غير الصدق واليقين وهو الخبر الصادر منه تعالى ، بأن منهم سيذوقون العذاب الشديد بالإشراك وتكذيب الرسل ، وليس عقابهم وتعذيبهم هذا ظلماً ، ثم استثنى الله تعالى من ذلك عباده المخلصين .

قال ابن كثير : « ليسوا يذوقون العذاب الأليم ولا يناقشون فى الحساب ، بل متجاوز عن سيئاتهم إن كان لهم سيئات ، ويجزون الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة ، إلى ما يشاء الله من التضعيف » .

وهم ـ أولاً عباد الله المخلصون وفى هذا إشارة إلى أعلى مراتب التكريم ، ولهم رزق غير مجهول ، رزق عظيم جليل ، لا يجهل أمره ، ولا يبلغ كنهه ، فلهم فواكه من جميع أنواع الفواكه التى تتفكه بها النفس للذتها وطعمها ، وهم ـ ثانيا ـ مكرمون لا مهانون محتقرون بل معظمون مجلون موقرون ، قد أكرم بعضهم بعضاً ، وأكرمتهم الملائكة الكرام ، وصاروا يدخلون عليهم من كل باب ، ويهنئونهم ببلوغ أهنأ الثواب ، وأكرمهم أكرم الأكرمين ، وجاء عليهم بأنواع الكرامات من نعيم القلوب والأرواح والأبدان فى الجنات التى النعيم وصفها ، والسرور نعتها ، وذلك لما جمعته مما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، وسلمت من كل مخل بنعيمها من جميع المكدرات والمنغصات .

ومن كرامتهم عند ربهم ، وإكرام بعضهم بعضاً ، أنهم على سرر وهى المجالس المرتفعة المزينة بأنواع الأكسية الفاخرة ، المزخرفة المجملة ، فهم متكئون عليها على وجه الراحة والطمأنينة والفرح ، متقابلون فيما بينهم قد صفت قلوبهم ومحبتهم فيما بينهم ، ونعموا باجتماع بعضهم مع بعض ، فإن مقابلة وجوههم تدل على تقابل قلوبهم وتأدب بعضهم مع بعض ، ويتردد الولدان المستعدون لخدمتهم بالأشربة اللذيذة بالكاسات الجميلة المنظر ، المترعة من الرحيق المختوم بالمسك وهى كاسات الخمر ، وتلك الخمر لونها بيضاء من أحسن الألوان ، وفى طعمها لذة يتلذذ شاربها بها وقت شربها وبعده ، وأنها سالمة من غول العقل وذهابه ونزفه ونزف مال صاحبها ، وليس فيها صداع ولا كدر ، فلما ذكر طعامهم وشرابهم ومجالسهم وعموم النعيم وتفاصيله ، لكن فصل هذه الأشياء لتعلم فتشتاق النفوس إليها ، ذكر أزواجهم فعند أصحاب النعيم فى محلاتهم القريبة حور حسان ، كاملات الأوصاف قاصرات الطرف ، إما أنها قصرت طرفها على زوجها لعفتها وإما لأنها قصرت طرف زوجها عليها لكمالها وجمالها ، وتلك الزوجات حسان الأعين جميلاتها ملاح الحدق ، وهن كالبيض المستور من حسنهن وصفائهن ، وكون ألوانهن أحسن الألوان وأبهاها ، ليس فيه كدر ولا شين .

ولما ذكر الله تعالى نعيمهم وتمام سرورهم بالمآكل والمشارب ، والأزواج الحسان والمجالس الحسنة ، ذكر تذاكرهم فيما بينهم ، ومطارحتهم للأحاديث عن الأمور الماضية ، وأنهم ما زالوا فى المحادثة والتساؤل حتى أفضى ذلك بهم ، إلى أن قال قائل منهم : إن لى جليسًا فى الدنيا ...

ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا :

١ ـ علينا أن نحسن اختيار أصدقائنا ونتجنب أصدقاء السوء فالمرء على دين خليله .

٢ ـ بيان فضل الله إذ يجزى المؤمنين الحسنة بعشر أمثالها إلى أكثر من سبعمائة ضعف .

٣ ـ تقرير البعث وبيان بعض ما يجرى فيه من قول وعمل .

معانى الكلمات :

لمدينون : لمحاسبون ومجزيون بأعمالنا ؟ !

لتردين : لتهلكنّى .

المحضرين : المسوقين إلى جهنم المحضرين فيها .

نزلا : ضيافة .

فتنة : ابتلاء وتعذيبا .

أصل الجحيم : قعر جهنم .

طلعها : ثمرها .

لشوبا من حميم : خلطا من ماء حار جدًّا .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن نعلم كيف كان المكذبون يسخرون من المؤمنين ويعدونهم متخلفين عقلياً .

٢ ـ أن نعلم أحسن الأساليب فى الدعوة وهو الترهيب والترغيب .

٣ ـ أن نتعرف على قصة نوح عليه السلام ، وإجابة الله دعاءه .

المحتوى التربوى :

يمضى السياق فى الحكاية المصورة التى يتذاكر فيها عباد الله المخلصون الماضى والحاضر ، وأحدهم يستعيد ماضيه ، ويقص على إخوانه طرفا مما وقع له ، لقد كان صاحبه وقرينه ذاك يكذب باليوم الآخر ، ويسائله فى دهشة : أهو من المصدقين بأنهم مبعوثون محاسبون بعد إذ هم تراب وعظام ؟ !

وبينما هو ماض فى قصته يعرضها فى سمره مع إخوانه ، يخطر له أن يتفقد صاحبه وقرينه ذاك ليعرف مصيره ، وهو يعرف بطبيعة الحال أنه قد صار إلى الجحيم ، فيتطلع ويدعو إخوانه إلى التطلع معه، وعندئذ يتوجه إلى قرينه الذى وجده فى وسط الجحيم، يتوجه إليه ليقول له: يا هذا ،

لقد كدت توردنى المهالك بوسوستك ، لولا أن الله قد أنعم علىّ فعصمنى من الاستماع إليك ، ولولا هذه النعمة لكنت من الذين يساقون إلى الموقف وهم كارهون .

ويقول المؤمن مبتهجا بنعمة الله على أهل الجنة بالخلود الدائم فيها ، والسلامة من العذاب ـ استفهام بمعنى الإثبات والتقرير ، أى يقول لقرينه المعذب : أفتزعم أننا لسنا نموت سوى الموتة الأولى ، ولا بعث بعدها ولا عذاب.

ولما ذكر تعالى نعيم الجنة ، ووصفه بهذه الأوصاف الجميلة مدحه وشوق العاملين ، وحثهم على العمل ، فقال : إن الذى حصل لهم به كل خير ، وكل ما تهوى النفوس وتشتهى ، واندفع عنهم به كل محذور ومكروه ، فهل فوز يطلب فوقه ؟ أم هو غاية الغايات ونهاية النهايات ، حيث حل عليهم رضا رب السموات والأرض،وفرحوا بقربه،وتنعموا بمعرفته،واستروا برؤيته وطربوا لكلامه ؟

وهذا النعيم الذى لا يدركه فوت ، ولا يخشى عليه من نفاد ، ولا يعقبه موت ، ولا يتهدده العذاب ، لمثل هذا فليعمل العاملون ، فهذا هو الذى يستحق الاحتفال ، وما عداه مما ينفق فيه الناس أعمارهم على الأرض زهيد حين يقاس إلى هذا الخلود ، فهو أحق ما أنفقت فيه نفائس الأنفاس ، وأولى ما شمر إليه العارفون الأكياس ، والحسرة كل الحسرة أن يمضى على الحازم وقت من أوقاته وهو غير مشتغل بالعمل الذى يقرب لهذه الدار ، فكيف إذا كان يسير بخطاياه إلى دار البوار ؟! ولكى يتضح الفارق الهائل بين هذا النعيم الخالد الآمن الدائم الراضى ، والمصير الآخر الذى ينتظر الفريق الآخر ، فإن السياق يستطرد إلى ما ينتظر هذا الفريق بعد موقف الحشر والحساب الذى ورد فى مطلع المشهد الفريد فيقول : أذلك النعيم الذى وصفناه لأهل الجنة خير أم العذاب الذى يكون فى الجحيم من جميع أصناف العذاب ؟ فأى : الطعامين أولى ؟ الذى وصف فى الجنة أم طعام أهل النار ؟ النعيم المقيم أم شجرة الزقوم ؟

وما شجرة الزقوم ؟ قد يحتمل أن يكون المراد بذلك جنس شجر يقال له : الزقوم ، أو أنها شجرة مر يكون بتهامة ، هذه الشجرة غذيت من النار ومنها خلقت ، وهى محنة وعذاب للظالمين فى الآخرة أو ابتلاء فى الدنيا ، ولما سمعوا أنها فى النار قالوا : كيف ذلك والنار تحرق الشجر ولم يعلموا أن من قدر على خلق ما يعيش فى النار ويلتذ بها ، فهو أقدر على خلق الشجر فى النار وحفظه من الإحراق ، فهى شجرة منبتها فى قعر جهنم ، وأغصانها ترتفع إلى دركاتها .

يقول العلامة السعدى : « فهذا مخرجها ومعدنها أشر المعادن وأسوؤها ، وشر المغرس يدل على شر الغراس وخسته ، ولهذا نبهنا الله على شرها بما ذكر أين تنبت به ، وبما ذكر من صفة ثمرتها ، وأنها كرؤوس الشياطين فلا تسأل بعد هذا عن طعمها ، وما تفعل فى أجوافهم وبطونهم وليس عنها مندوحة ولا معدل » .

وإذا أكلوا منها شاكت حلوقهم وهى كرؤوس الشياطين ـ وحرقت بطونهم ـ وهى تنبت فى أصل الجحيم ولا تحترق لأنها من نوع الحميم ، وتطلعوا إلى برد الشراب ينقع الغلة ويطفئ اللهيب ، فإنهم لشاربون عليها ماء ساخنا مشوباً غير خالص ، وبعد هذه الوجبة يغادرون تلك المائدة عائدين إلى مقرهم المقيم ، وياله من نزل ، وياله من معاد ؛ ليذوقوا من عذابه الشديد وحره العظيم ، ما ليس عليه مزيد من الشقاء .

وكأنه قيل : ما الذى أوصلهم إلى هذه الدار؟ فقال: إنهم وجدوا آباءهم عريقين فى الضلالة ، وهم فى الوقت ذاته مقلدون لا يفكرون ولا يتدبرون ، بل يطيرون معجلين يقفون خطا آبائهم الضالين غير ناظرين ولا متعقلين ، وهم وآباؤهم صورة من صور الضلال التى يمثلها أكثر الأولين ، وكان ضلالهم بعد الإنذار والتحذير ، ولكن كيف كانت العاقبة ؟ كيف كانت عاقبة المكذبين ؟ وكيف كانت عاقبة عباد الله المخلصين ، إنها معروضة فى سلسلة القصص ، وهذا الإعلان فى مقدمتها للتنبيه .

ثم ذكر أنموذجًا من عواقب الأمم المكذبين ، فيخبر تعالى عن عبده ورسوله نوح عليه السلام أول الرسل ، أنه لما دعا قومه إلى الله تلك المدة الطويلة ، فلم يزدهم دعاؤه إلا فرارا ، فنادى عليه السلام ربه بألا يترك على الأرض أحدًا من الكافرين ، وأن ينصره على القوم المفسدين ، فاستجاب الله له ، ومدح تعالى نفسه بأنه خير من يستجيب لدعاء الداعين ، وسماع تبتلهم وتضرعهم ، فقد أجابه إجابة طابق ما سأل ، نجاه وأهله من الكرب العظيم .

يقول ابن كثير : « لما ذكر تعالى عن أكثر الأولين أنهم ضلوا عن سبيل النجاة ، شرع يبين ذلك مفصلا ، فذكر نوحا عليه السلام ، وما لقى من قومه من التكذيب ، وأنه لم يؤمن منهم إلا القليل مع طول المدة ، لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما ، فلما طال عليه ذلك واشتد عليه تكذيبهم ، وكلما دعاهم ازدادوا نفرة ، فدعا ربه أنى مغلوب فانتصر ، فغضب الله لغضبه ... » .

ويقول صاحب الأساس : « فى التمثيل بقصة نوح عليه السلام فى سياق السورة توضيح لنجاة عباد الله المخلصين ، من عذاب الدنيا ، وتوضيح لقيمة الإيمان ، ونموذج على إرسال الله الرسل للإنذار ، ونموذج على أن هؤلاء الرسل هم المثل الأعلى للأخلاق الربانية من إحسان وإيمان » .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا :

١ ـ يجب ألا نقلد الآخرين تقليدًا أعمى فى كل شىء ، وإنما نفكر ونتدبر فى كل عمل قبل أن نقوم به ، حتى يكون موافقا لأمر الله تعالى ورسوله .

٢ ـ التحذير من قرناء السوء .

٣ ـ الحث على كثرة الأعمال الصالحة ، والبعد عن الأعمال الفاسدة .

سورة الصافات

وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ
عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ
عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٨٢﴾ ۞ وَإِنَّ مِن
شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ
لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ
﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾
فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ
فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا
بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوٓا۟ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ
﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ
فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾
وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ
﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ
يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ
يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾

٤٤٩

معانى الكلمات :

الآخرين : الكافرين الذين لم يؤمنوا .

شيعته : من سار على منهاجه وملته .

سليم : نقى ، طاهر ، نظيف .

أئفكًا : أكذبًا وباطلًا .

فنظر : فتأمل .

سقيم : مريض .

فراغ : فذهب .

يزفون : يسرعون .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن نعلم فضل الإيمان وكرامة أهله عند الله فى الدنيا والآخرة .

٢ ـ أن نؤمن بأن أصل الدين واحد ، فالإسلام دين الله .

٣ ـ أن نعلم ابتلاء إبراهيم عليه السلام ، ووجوب بر الوالدين .

المحتوى التربوى :

تتضمن الإشارة هنا نجاة نوح عليه السلام وأهله من الكرب العظيم ، كرب الطوفان الذى لم ينج منه إلا من أراد له الله النجاة وقدر له الحياة ، وتتضمن قدر الله بأن يجعل من ذرية نوح عماراً لهذه الأرض وخلفاء ، وأن يبقى ذكره فى الأجيال الآتية إلى آخر الزمان ، وتعلن فى الخافقين سلام الله على نوح جزاء إحسانه ، وأى جزاء بعد سلام الله ، والذكر الباقى بعد سلام الله ، والذكر الباقى مدى الحياة . أما مظهر الإحسان وسبب الجزاء فهو الإيمان ، وهذه هى عاقبة المؤمنين .

يقول صاحب الأساس : « فى قوله تعالى عن نوح عليه السلام : ﴿ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ إشارة إلى كون نوح عليه السلام من الموحدين المؤمنين ، ومن ثم فإن قصة نوح خدمت سياق السورة من عدة

نواحٍ ، **أولاً** : فى موضوع التوحيد ، **ثانياً** : فى موضوع بعثة الرسل جميعاً بالتوحيد ، **ثالثا** : فى موضوع إنجاء الله المؤمنين من العذاب ، **رابعاً** : فى إبراز قيمة الإيمان فى موازين الله عز وجل » .

فالإيمان أرفع منازل العباد وأنه مشتمل على جميع شرائع الدين وأصوله وفروعه ، لأن الله مدح به خواص خلقه، وأما غير المؤمنين من قوم نوح ، فقد كتب الله عليهم الهلاك والفناء مكان مصيرهم الغرق ، ومضت سنة الله منذ فجر البشرية البعيد .

ثم تجىء قصة إبراهيم عليه السلام وهو ممن شايع نوحًا عليه السلام فى الإيمان وأصول الشريعة ، ولا يبعد اتفاق شرعهما فى الفروع أو غالبا ، وكان بينهما نبيان هود وصالح صلوات الله عليهم ، والقصة أكبر موعظة لكفار قريش؛ لأنهم ينتمون إلى إبراهيم ويدعون أنهم على ملته وملة ولده إسماعيل ؛ فلذا أطال الحديث فيها .

وتجىء القصة فى حلقتين رئيسيتين: حلقة دعوته لقومه، وتحطيم الأصنام ، وهمهم به ليقتلوه ، وحماية الله له وخذلان شانئيه ـ وهى حلقة تكررت من قبل فى سور القرآن ، وحلقة جديدة لا تعرض فى غير هذه السورة ، وهى الخاصة بحادث الرؤيا والذبح والفداء ، مفصلة المراحل والخطوات والمواقف ، فى أسلوبها الأخاذ وأدائها الرهيب ، ممثلة أعلى صور الطاعة والتضحية والفداء والتسليم فى عالم العقيدة فى تاريخ البشرية الطويل ، وتبدأ القصة بعقد صلة العقيدة والدعوة والطريق بين إبراهيم ونوح عليهما السلام ويبرز من صفة إبراهيم سلامة القلب وصحة العقيدة وخلوص الضمير ، وصورة الاستسلام الخالص تتمثل فى مجيئه لربه ، وصورة النقاء والطهارة والبراءة والاستقامة تتمثل فى سلامة قلبه .

وبهذا القلب السليم ، استنكر ما عليه قومه واستبشعه ، استنكار الحس السليم لكل ما تنبو عنه الفطرة الصادقة من تصور ومن سلوك ، وإذا به يهتف بأبيه وقومه هتاف الفطرة السليمة فى استنكار شديد ، ماذا تعبدون ؟! إن ما تعبدون ليس من شأنه أن يعبد، ولا أن يكون له عابدون ، وما يعبده الإنسان فى شبهة من حق ، إنما هو الإفك المحض ، والافتراء الذى لا شبهة فيه ، فهل أنتم تقصدون إلى الإفك قصداً وإلى الافتراء عمداً ، وما هو تصوركم لله، وهى كلمة يبدو فيها استنكار الفطرة السليمة البريئة،وهى تطلع على الأمر البين الذى يصدم الحس والعقل والضمير.

ويسقط السياق هنا ردهم عليه وحوارهم معه ، ويمضى مباشرة فى المشهد التالى إلى عزيمته التى قررها فى نفسه تجاه هذا الإفك المكشوف ؛ فينظر فى النجوم راميا ببصره إلى السماء ، متفكراً فى نفسه كيف ـ يحتال لإصلاح اعتقادهم ، أو أراهم أنه ينظر فى النجوم لاعتقادهم علم النجوم ، فأوهمهم أنه استدل بأمارة على أنه يسقم لئلا يخرجوه إلى معبدهم ، فإنه كان أغلب أسقامهم الطاعون ، وكانوا يخافون العدوى ، وأراد أنى سقيم القلب لكفركم، فتركوه هاربين مخافة العدوى ، فذهب إلى آلهتهم فى خفية ، فقال للأصنام استهزاء : ألا تأكلون يعنى الطعام الذى كان عندهم ولم تجبه الأصنام بطبيعة الحال ويسأل فى تهكم لم لا تنطقون ؟ ! وهنا يفرغ شحنة

الغيظ فعلا لا قولا فجعل يضربها بقوته ونشاطه ، حتى جعلها جذاذا وترك كبيرها لعل القوم يرجعون إليه .

وتسامع قومه بالخبر وعرفوا من الفاعل ، فأقبلوا إليه بعد ما رجعوا يزف بعضهم بعضا مسرعين ، فلما جازوه ليعاتبوه أخذ فى تأنيبهم وعيبهم ، فقال : أتعبدون ما تصنعون بأيديكم وتتركون الإخلاص لله الذى خلقكم وخلق أعمالكم بإقداره إياكم عليها ، ولما قهرهم بالحجة قصدوا تعذيبه ؛ لئلا يظهر للعامة عجزهم ، فاتخذوا منطق الحديد والنار الذى لا يعرف الطغاة منطقا سواه ، ويختصر السياق هنا ما حدث بعد ما بنوا بنيانا غاليا مرتفعا وأوقدوا فيه النار التى ألقوا فيها إبراهيم عليه السلام ، يختصر السياق هذا ليعرض العاقبة التى تحقق وعد الله لعباده المخلصين ووعيده لأعدائهم المكذبين ، وأين يذهب كيد العباد إذا كان الله يريد ، وماذا يملك أولئك الضعاف إذا كانت رعاية الله تحوط عباده المخلصين .

وتأتى الحلقة الثانية فى القصة ممثلة فى الهجرة والتضحية والفداء، وطوى إبراهيم عليه السلام صفحة لينشر أخرى . فيترك أباه وقومه وأهله وبيته ووطنه وكل ما يربطه بهذه الأرض وبهؤلاء الناس ، ويدع وراءه كذلك كل عائق وكل شاغل ويهاجر إلى ربه متخففا من كل شىء ، وهى هجرة نفسية قبل أن تكون مكانية ، هجرة كاملة من حال إلى حال، ومن أواصر شتى إلى آصرة واحدة لا يزحمها فى النفس شىء ، إنه التعبير عن التجرد والخلوص والاستسلام والطمأنينة واليقين ، وكان إبراهيم حتى هذه اللحظة وحيداً لا عقب له فاتجه إلى ربه الذى أعلن أنه ذاهب إليه ، اتجه إليه يسأله الذرية المؤمنة والخلق الصالح ليعينه على الدعوة ويؤنسه فى الغربة ، فيبشر بالولد وبأنه ذكر يبلغ أوان الحلم ، فلما وجد الولد وبلغ أن يسعى معه فى أعماله ، قال إبراهيم عليه السلام : لابنه إنى رأيت فى الرؤيا ـ ورؤيا الأنبياء حق ، أن الله أمرنى بذبحك فما رأيك ؟ وشاوره فيه وهو حتم ليعلم ما عنده فيما نزل من بلاء الله فيثبت قدمه إن جزع ويأمن عليه إن سلم ، وليوطن نفسه عليه فيهون عليه ويكتسب المثوبة بالانقياد له قبل نزوله .

ويتلقى إسماعيل عليه السلام الأمر فى طاعة واستسلام ورضا ويقين ، ويحس ما أحسه من قلب أبيه فيقول مودة وقربى : امض لما أمرك الله ، وأخبره أنه موطن نفسه على الصبر وقرن ذلك بمشيئة الله حتى لا تكون بطولة ولا شجاعة ولا اندفاعا ، وإنما مرجعه رضا التسليم ونبل الطاعة وروعة الإيمان .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا :

١ ـ رؤيا الأنبياء حق ، وهى نوع من وحى الله تعالى لهم .

٢ ـ الفطرة النقية السليمة لا تقبل الشرك وتميل إلى التوحيد .

٣ ـ الإيمان يمد الإنسان بالقوة التى تجعله يتغلب على جميع العقبات ، والله نعم المعين .

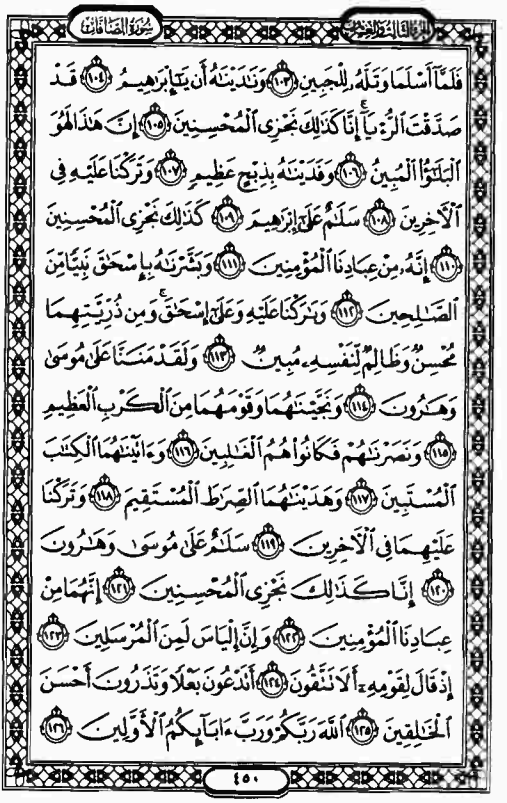
فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدۡ
صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ
ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي
ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ
﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرۡنَٰهُ بِإِسۡحَٰقَ نَبِيّٗا مِّنَ
ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكۡنَا عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ إِسۡحَٰقَۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا
مُحۡسِنٞ وَظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ مُبِينٞ ﴿١١٣﴾ وَلَقَدۡ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ
وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيۡنَٰهُمَا وَقَوۡمَهُمَا مِنَ ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ
﴿١١٥﴾ وَنَصَرۡنَٰهُمۡ فَكَانُواْ هُمُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيۡنَٰهُمَا ٱلۡكِتَٰبَ
ٱلۡمُسۡتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيۡنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكۡنَا
عَلَيۡهِمَا فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ
﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنۡ
عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٢٢﴾ وَإِنَّ إِلۡيَاسَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٢٣﴾
إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدۡعُونَ بَعۡلٗا وَتَذَرُونَ أَحۡسَنَ
ٱلۡخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمۡ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾
٤٥٠

معانى الكلمات :

أسلما : استسلما وخضعا . **تله للجبين** : ألقاه على وجهه .

متنا : أنعمنا .

الكرب : الغم .

المستبين : الكامل فى بيانه .

الصراط : الطريق .

إلياس : أحد أنبياء بنى إسرائيل .

بعلا : اسم صنم عبدوه .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن نتعرف على إبراهيم عليه السلام وعلو مقامه عند ربه .

٢ ـ أن نعلم إكرام الله لرسوليه : موسى وهارون عليهما السلام .

٣ ـ أن نعلم فضل الإحسان والإيمان .

المحتوى التربوى :

يخطو السياق وراء الحوار والكلام إلى التنفيذ ، ومرة أخرى يرتفع نبل الطاعة ، وعظمة الإيمان ، وطمأنينة الرضا وراء كل ما تعارف عليه بنو الإنسان ، إن الرجل يمضى فيكب ابنه على جبينه استعداداً ، وإن الغلام يستسلم فلا يتحرك امتناعا ، وقد وصل الأمر إلى أن يكون عيانا .

يقول صاحب الظلال : « لقد أسلما فهذا هو الإسلام ، هذا هو الإسلام فى حقيقته ، ثقة وطاعة وطمأنينة ورضا وتسليم ، وتنفيذ ، وكلاهما لا يجد فى نفسه إلا هذه المشاعر التى لا يصنعها غير الإيمان العظيم ، إنها ليست الشجاعة والجراءة ، وليس الاندفاع والحماسة ، لقد يندفع المجاهد فى الميدان ، يقتل ويُقتل ، ولقد يندفع الفدائى وهو يعلم أنه قد لا يعود ، ولكن

هذا كله شيء والذى يصنعه إبراهيم وإسماعيل هنا شيء آخر ، ليس هنا دم فائر ، ولا حماسة دافعة، ولا اندفاع فى عجلة تخفى وراءها الخوف من الضعف والنكوص ، إنما هو الاستسلام الواعى المتعقل القاصد المريد ، العارف بما يفعل ، المطمئن لما يكون ، لا بل هنا الرضا الهادئ المستبشر المتذوق للطاعة وطعمها الجميل » .

وهنا كان إبراهيم وإسماعيل قد أديا ، كان قد أسلما ، كان قد حققا الأمر والتكليف ، ولم يكن باقيا إلا أن يذبح إسماعيل ، ويسيل دمه وتزهق روحه ، وهذا أمر لا يعنى شيئا فى ميزان الله ، بعد ما وضع إبراهيم وإسماعيل فى هذا الميزان من روحهما وعزمهما ومشاعرهما كل ما أراده منهما ربهما ، وصرع إبراهيم إسماعيل على شقه فوقع جبينه على الأرض ، وهو أحد جانبى الجبهة ، وقيل : كبه على وجهه بإشارته لئلا يرى فيه تغيراً يرق له فلا يذبحه ، وكان ذلك عند الصخرة بمنى أو فى الموضع المشرف على مسجده أو المنحر الذى ينحر فيه اليوم .

يقول صاحب الظلال : « كان الابتلاء قد تم ، والامتحان قد وقع ، ونتائجه قد ظهرت ، وغاياته قد تحققت ، ولم يعد إلا الألم البدنى ، وإلا الدم المسفوح ، والجسد الذبيح ، والله لا يريد أن يعذب عباده بالابتلاء ، ولا يريد ماءهم وأجسادهم فى شيء ، ومتى خلصوا له واستعدوا للأداء بكلياتهم فقد أدوا ، وقد حققوا التكليف ، وقد جاوزوا الامتحان بنجاح ، وعرف الله من إبراهيم وإسماعيل صدقهما ، فاعتبرهما قد أديا وحققا وصدقا » .

وفى تلك الحال المزعجة ، والعزم الأكيد والإتيان بالمقدمات نودى إبراهيم : قد فعلت ما أمرت به ، وحصل المقصود من رؤياك ولم يبق إلا إمرار السكين ، والله لا يريد إلا الإسلام والاستسلام بحيث لا يبقى فى النفس ما تكنه عن الله أو تعزه عن أمره أو تحتفظ به دونه ، ولو كان هو الابن فلذة الكبد ، ولو كانت هى النفس والحياة .

ثم كان ما كان مما ينطق به الحال ولا يحيط به المقال من استبشارهما وشكرهما الله على ما أنعم عليهما من دفع البلاء بعد حلوله والتوفيق لما لم يوفق غيرهما لمثله،وإظهار فضلهما به على العالمين ، مع إحراز الثواب العظيم إلى غير ذلك ، ويأتى التعليل بأنا نجزيهم باختيارهم لمثل هذا البلاء ، ونجزيهم بتوجيه قلوبهم ورفعها إلى مستوى الوفاء ، ونجزيهم بإقدارهم وإصبارهم على الأداء ، ونجزيهم كذلك باستحقاق الجزاء ، ومضت بذلك سنة النحر فى الأضحى ذكرى لهذا الحادث العظيم الذى يرتفع منارة لحقيقة الإيمان ، وجمال الطاعة وعظمة التسليم ، والذى ترجع إليه الأمة المسلمة لتعرف فيه حقيقة أبيها إبراهيم ، الذى تتبع ملته ، وترث نسبه وعقيدته .

وهذا هو الابتلاء البين الذى يتبين فيه المخلص من غيره أو المحنة البينة الصعوبة فإنه لا أصعب منها ، وتم الفداء بكبش عظيم الجثة سمين ، وهو عظيم القدر لأنه يفدى به الله نبيا ابن

نبى ، والفادى على الحقيقة هو إبراهيم عليه السلام ، والله هو المعطى له الآمر به ، وما من أمة بعد إبراهيم عليه السلام إلا وهى تسلم على إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه وهذا جزاء المحسنين بأن يُبارك لهم فى الذكر الحسن والسلام والتكريم بعد البلاء ، وهذا جزاء الإيمان ، وتلك حقيقته فيما كشف عنه البلاء المبين .

ثم يتجلى عليه ربه بفضله مرة أخرى ونعمته فيهب له إسحاق فى شيخوخته ، ويباركه ويبارك إسحاق ، ويجعل إسحاق نبيا من الصالحين ، وتتلاحق من بعدهما ذريتهما ، ولكن وراثة هذه الذرية لهما ليست وراثة الدم والنسب ، إنما هى وراثة الملة والمنهج ، فمن اتبع فهو محسن ، ومن انحرف فهو ظالم لا ينفعه نسب قريب أو بعيد .

ومن ذريتهما موسى وهارون ، ويذكر تعالى منته على عبديه ورسوليه موسى وهارون ابنى عمران . بالنبوة والرسالة والدعوة إلى الله تعالى ، ونجاتهما وقومهما من عدوهما فرعون ، ونصرهما عليه حتى أغرقه الله وهم ينظرون، وإنزال الله عليهما الكتاب المستبين ، وهو التوراة التى فيها الأحكام والمواعظ وتفصيل كل شىء ، وأن الله هداهما الصراط المستقيم ، بأن شرع لهما دينا وتحية فى الآخرين ، ومن باب أولى وأحرى فى الأولين ، ومثل ذلك الجزاء نجزى به المحسنين الذين أحسنوا الاعتقاد والعمل ، والإيمان أصل كل خير .

وتأتى قصة إلياس عليه السلام والأرجح أنه النبى المعروف فى العهد القديم باسم إيلياء، وقد أرسل إلى قوم فى سورية كانوا يعبدون صنما يسمونه بعلا ، وما تزال آثار مدينة (بعلبك) تدل على آثار هذه العبادة .

ولقد دعا إلياس عليه السلام قومه إلى التوحيد مستنكراً عبادتهم لبعل ، وتركهم أحسن الخالقين ربهم ورب آبائهم الأولين ؛ إسحاق ويعقوب وإبراهيم ، وهو المستحق للعبادة وحده لا شريك له ، وكما استنكر إبراهيم عبادة أبيه وقومه للأصنام ، وكما استنكر كل رسول عبادة قومه الوثنيين كان إلياس عليه السلام مستنكراً .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا :

١ ـ يستجيب الله تعالى دعاء المخلصين من عباده إذا تضرعوا إليه واستغفروه .

٢ ـ حسن الأدب مع الوالدين وطاعتهما ومساعدتهما فى أعمالهما ؛ امتثالا لأمر الله تعالى ـ وعرفانا بفضلهما .

٣ ـ الحلم من الصفات الطيبة التى يتحلى بها المؤمن فيكون راضى النفس ، واسع الصدر .

٤ ـ الاستعانة بالله فى جميع الأمور أمر مطلوب .

معانى الكلمات :

محضرون : مجموعون فى العذاب .

الغابرين : الهالكين .

المدحضين : المغلوبين .

فنبذناه : فأخرجناه .

بالعراء : بالأرض الفضاء .

سقيم : مريض هزيل .

يقطين : شجر القرع .

إفكهم : كذبهم .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن نتعرف على قصة لوط عليه السلام حين نجاه الله وأهله جميعا ما عدا امرأته الكافرة .

٢ ـ أن نتعرف على قصة يونس عليه السلام .

٣ ـ أن نتعلم كيف نتعظ بالأحداث ونعتبر بالتاريخ .

المحتوى التربوى :

يمضى السياق فيذكر العاقبة وهى التكذيب ، والله سبحانه يقسم ويؤكد أنهم سيحضرون مكرهين ليلقوا جزاء المكذبين إلا من آمن منهم واستخلصه الله من عباده فيهم ، ويختم ذكر إلياس عليه السلام تلك الخاتمة المكررة المقصودة فى السورة لتكريم رسل الله بالسلام عليهم من قبله ، ولبيان جزاء المحسنين وقيمة إيمان المؤمنين .

ثم تأتى قصة لوط ، وهى أشبه باللمحة التى جاءت عن قصة نوح ، فهى تشير إلى رسالة لوط ونجاته مع أهله إلا امرأته ، وتدمير المكذبين الضالين ، وتنتهى بلمسة لقلوب العرب الذين

يمرون على دار قوم لوط فى الصباح والمساء ، ولا تستيقظ قلوبهم ولا تستمع لحديث الديار الخاوية ، ولا تخاف عاقبة كعاقبتها الحزينة .

قال النسفى : « وإنما لم يختم قصة لوط ويونس بالسلام كما ختم قصة من قبلهم ؛ لأن الله تعالى قد سلم على جميع المرسلين فى آخر السورة ، فاكتفى بذلك عن ذكر كل واحد منفرداً بالسلام » .

وتختم قصص السورة بصاحب الحوت يونس عليه السلام ، ولا يذكر القرآن أين كان قوم يونس ، ولكن المفهوم أنهم كانوا فى بقعة قريبة من البحر ، وتذكر الروايات أن يونس ضاق صدراً بتكذيب قومه ، فأنذرهم بعذاب قريب ، وغادرهم مغاضبًا آبقا ، فقاده الغضب إلى شاطئ البحر حيث ركب سفينة مشحونة ، وفى وسط اللجة ناوأتها الرياح والأمواج وكان هذا إيذانا عند القوم بأن من بين الركاب راكبا مغضوبا عليه ، لأنه ارتكب خطيئة ، وأنه لابد أن يلقى فى الماء لتنجو السفينة من الغرق ، فاقترعوا على من يلقونه من السفينة لتخف بهم السفينة فوقعت القرعة على نبى الله يونس عليه السلام ، وكان معروفا عندهم بالصلاح ، ولكن سهمه خرج بشكل أكبر فألقوه فى البحر أو ألقى هو نفسه ، وأمر الله تعالى حوتا من البحر الأخضر أن يشق البحار ، وأن يلتقم يونس عليه السلام فلا يهشم له لحما ، ولا يكسر له عظما ، فجاء ذلك الحوت والتقمه وذهب به فطاف به البحار كلها .

التقمه الحوت وهو مستحق للوم ؛ لأنه تخلى عن المهمة التى أرسله الله بها ، وترك قومه مغاضبا قبل أن يأذن الله له ، ولما استقر فى بطن الحوت حسب أنه قد مات ، ثم حرك رأسه وأطرافه فإذا هو حى ، وعندما أحس بالضيق فى بطن الحوت سبح الله واستغفره ، وذكر أنه كان من الظالمين ، فسمع الله دعاءه واستجاب له فلفظه الحوت ، ولولا ما تقدم له من العمل فى الرخاء لظل فى بطن الحوت إلى يوم البعث .

وقد خرج من بطن الحوت بالأرض الخالية العارية من كل أحد ، بل ربما كانت عارية من الأشجار والظلال ، وقد سقم ومرض بسبب حبسه فى بطن الحوت ، حتى صار مثل الفرخ الممعوط من البيضة ، وأنبت الله تعالى عليه شجرة من القرع تظله بظلها الظليل ؛ لأنها باردة باردة الظلال ، ولا يسقط عليها ذباب ، وهذا من لطفه به وبره ، فلما استكمل عافيته رده الله إلى قومه الذين تركهم مغاضبا وكانوا قد خافوا ما أنذرهم به من العذاب بعد خروجه ، فآمنوا ، واستغفروا ، وطلبوا العفو من الله فسمع لهم ولم ينزل بهم عذاب المكذبين ، وكانوا مائة ألف يزيدون ولا ينقصون ، وقد آمنوا أجمعين .

وهذه اللمحة بسياقها هاهنا تبين عاقبة الذين آمنوا ، بجانب ما تبينه القصص السابقة من عاقبة الذين لا يؤمنون ، فيختار قوم محمد ﷺ إحدى العاقبتين كما يشاؤون ، وعلى ضوء ذلك

القصص وما اشتمل عليه من حقيقة الصلة بين الله وعباده ، ومن أخذه المكذبين بهذه الحقيقة ، الذين يعبدون غير الله أو يشركون معه بعض خلقه .

وعلى ضوء هذه الحقيقة يوجه السياق الرسول ﷺ أن يناقش معهم تلك الأسطورة التى يزعمون فيها أن الملائكة بنات الله ، فهو يحاصر أسطورتهم فى كل مسار بها ، ويحاجهم بمنطقهم ومنطق بيئتهم التى يعيشون فيها ، وهم كانوا يؤثرون البنين على البنات ، ويعدون ولادة الأنثى محنة ، ويعدون الأنثى مخلوقا أقل رتبة من الذكر ، ثم هم الذين يدعون أن الملائكة إناث ، وأنهم بنات الله .

وهنا يقول الله تعالى لنبيه ﷺ : اسأل المشركين بالله غيره ، الذين عبدوا الملائكة ، وزعموا أنها بنات الله ، فجمعوا بين الشرك بالله ووصفه بما لا يليق بجلاله، وهذه قسمة ضيزى، وقول جائر؛ من جهة جعلهم الولد لله تعالى ، ومن جهة جعلهم أردأ القسمين وأخسهما له فى نظرهم ، وهو البنات التى لا يرضونهن لأنفسهم ، واستأثروا هم بالبنين ، أو اختار الله البنات وترك لهم البنين ، وهذا أو ذاك لا يستقيم ، فاسألهم عن هذا الزعم المتهافت السقيم ، أليس هذا منتهى الحماقة والجهل وسوء التقدير، وكيف حكموا على الملائكة أنهم إناث وما شاهدوا خلقهم، **قال النسفى**: « تخصيص علمهم بالمشاهدة استهزاء بهم ، وتجهيل لهم ؛ لأنهم كما لم يعلموا ذلك مشاهدة ، لم يعلموه بخلق الله علمه فى قلوبهم ، ولا بإخبار صادق ، ولا بطريق استدلال ، أو معناه أنهم يقولون ذلك عن طمأنينة نفس لإفراط جهلهم كأنهم شاهدوا خلقهم » .

ويستعرض السياق نص مقولتهم المفتراة الكاذبة على الله ، وهم كاذبون حتى بحكم عرفهم الشائع ومنطقهم الجارى فى اصطفاء البنين على البنات ، فكيف اصطفى الله البنات على البنين ؟

قال ابن كثير : « ذكر الله تعالى عنهم فى الملائكة ثلاثة أقوال فى غاية الكفر والكذب : فأولا جعلوهم بنات الله ، فجعلوا لله ولدا ـ تعالى وتقدس ، وجعلوا ذلك الولد أنثى ، ثم عبدوهم من دون الله ـ تعالى وتقدس وكل منها كاف للتخليد فى نار جهنم » .

ثم قال تعالى منكراً عليهم : أاختار الله البنات على البنين ؟! وأى شىء يحمله على هذا ، وهذا استفهام توبيخ .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا :

١ ـ لا ينفع الإنسان أمام الله تعالى ـ يوم الحساب إلا عمله الذى قدمه فى هذه الدنيا .

٢ ـ ضرورة الاتعاظ بما حدث للسابقين ، والاعتبار بأحداث التاريخ .

٣ ـ الله تعالى يتقبل دعاء الضارعين إليه ، وخاصة عند الشدائد ما داموا مخلصين لله دعاءهم .

معانى الكلمات :

سلطان : حجة وبرهان .

الجنة : الجن .

بفاتنين : بمضلين أو مفسدين .

صال الجحيم : داخلها أو مقاسٍ حرها .

الصافون : الواقفون فى العبادة صفوفا .

كلمتنا : وعدنا .

فتول : فأعرض .

بساحتهم : بأرضهم .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن نتعرف على مناقشة من يزعم أن بينه تعالى وبين الجنة نسبا .

٢ ـ أن نتعرف على مواجهة الكافرين بما كانوا يقولون من الإيمان إذ جاءهم الرسول وقد كفروا به .

٣ ـ أن نعلم أن الله وعد عباده المؤمنين بالغلبة والنصر ، وأنه لا محالة واقع.

المحتوى التربوى :

يمضى السياق فى استفهام توبيخ الكافرين ، فما الذى يجعلهم يحكمون هذا الحكم الفاسد ؟ ! أما لهم عقول يتدبرون بها ما يقولون ، فيرون فى تذكرهم أنهم بهذا يجعلون لله المقام الأدنى ولأنفسهم المقام الأعلى على حسب تصوراتهم وقيمهم .

ومن أين تستمدون السند والدليل على الحكم المزعوم ؟ ألكم حجة ظاهرة أو دليل مصدق نزل عليكم من السماء بأن الملائكة بنات الله ؟ فهاتوا برهانًا على ذلك يكون مستند إلى كتاب منزل من السماء عن الله تعالى أنه اتخذ ما تقولونه ، فإن ما تقولونه لا يمكن استناده إلى عقل ، بل لا يجوزه العقل بالكلية ، وقد جعل هؤلاء المشركون بالله بين الله وبين الجنة نسبا ، حيث زعموا

أن الملائكة بنات الله ، وأن أمهاتهم سروات الجن ، والحال أن الجنة قد علمت أنهم محضرون بين يدى الله ، ليجازيهم عباداً أذلاء ، فلو كان بينهم وبينه نسب لم يكونوا كذلك .

وهنا ينزه ذاته سبحانه عن هذا الإفك المتهافت ، سبحان الله الملك العظيم ، الكامل الحليم عما يصفه به المشركون من كل وصف أوجبه كفرهم وشركهم ، ومن مجموع هذا نفهم أن عباد الله المخلصين هم الموحدون ، وهم الرسل عليهم الصلاة والسلام وأتباعهم ، فهؤلاء الذين يصفون الله عز وجل بما هو أهله .

ويواجه السياق المشركين أنكم ومن عبدتموه مع الله ، لاتقدرون أن تفتنوا وتضلوا أحداً إلا من قضى الله أنه من أهل الجحيم ، فينفذ فيه القضاء الإلهى ، والمقصود من هذا بيان عجزهم وعجز آلهتهم عن إضلال أحد ، وبيان كمال قدرة الله تعالى ، أى : فلا تطمعوا بإضلال عباد الله المخلصين وحزبه المفلحين .

قال صاحب الأساس : « بين الله عز وجل فى هذه الآيات أن الدعاة إلى الشرك لا يفتنون إلا من استوجب النار ، وبهذا علمنا أن المستجيبين للرسل هم أهل الجنة ، لأنهم أهل التوحيد الذى بدونه لا يدخل أحد الجنة ؛ وبهذه الآيات عرفنا أن كل الكلام السابق من نسبة الولد والأخ والزوجة إلى الله ، كل ذلك مخل بالتوحيد وهو شرك ، ثم حدثنا الله عز وجل عن الملائكة الذين زعم المشركون أنهم بنات الله ما هو مقالهم وما هو فعلهم » .

ثم عرفنا الله ماهية مقام العبودية الكامل الذى يتحقق به الملائكة عليهم الرضوان،وهو مقام جدير أن يقتدى به، ولذلك فإن رسول الله ﷺ كان يؤدب المسلمين عليه ، وهو مقام يتنافى مع ما ينسبه المشركون للملائكة من معان .

ويرد الملائكة على الأسطورة ، بأن لكل منهم مقامه الذى لا يتعداه ، فهم عباد من خلق الله ، لهم وظائف فى طاعة الله ، فهم يصفون للصلاة ، ويسبحون بحمد الله ، ويقف كل منهم على درجة لا يتجاوز حده ، والله هو الله ، ويعود السياق للحديث عن المشركين الذين يطلقون هذه الأساطير ، فيعرض عهودهم ووعودهم ، يوم كانوا يحسدون أهل الكتاب على أنهم أهل كتاب ؛ ويقولون لو كان عندنا ذكر من الأولين ـ من إبراهيم أو من جاء بعده ـ لكنا على درجة من الإيمان يستخلصنا الله من أجلها ويصطفينا ، حتى إذا جاءهم ذكر هو أعظم ما جاء إلى هذه الأرض تنكروا لما كانوا يقولون وكفروا به ، فسوف يعلمون العذاب حين يقع منهم .

يقول صاحب الظلال:« يقرر وعد الله لرسله بالنصر والغلبة، والوعد واقع وكلمة الله قائمة، ولقد استقرت جذور العقيدة فى الأرض، وقام بناء الإيمان، على الرغم من جميع العوائق ، وعلى الرغم من تكذيب المكذبين ، وعلى الرغم من التنكيل بالدعاة والمتبعين، ولقد ذهبت عقائد المشركين والكفار ، وذهبت سطوتهم ودولتهم ، وبقيت العقائد التى جاء بها الرسل تسيطر على قلوب الناس وعقولهم ، وتكيف تصوراتهم وأفهامهم ، وما تزال على الرغم من كل شىء هى أظهر وأبقى ما يسيطر على البشر فى أنحاء الأرض .

وكل المحاولات التى بذلت لمحو العقائد الإلهية التى جاء بها الرسل ، وتغليب أية فكرة أو فلسفة أخرى قد باءت بالفشل ، باءت بالفشل حتى فى الأرض التى نبعث منها ، وحقت كلمة الله لعباده المرسلين أنهم لهم المنصورون ، وأن جنده لهم الغالبون ، وهذه بصفة عامة ، وهى ظاهرة ملحوظة فى جميع بقاع الأرض فى جميع العصور .

وهى كذلك متحققة فى كل دعوة لله ، يخلص فيها الجند ، ويتجرد لها الدعاة ، إنها غالبة منصورة مهما وضعت فى سبيلها العوائق ، وقامت فى طريقها العراقيل ، ومهما رصد لها الباطل من قوى الحديد والنار ، وقوى الدعاية والافتراء ، وقوى الحرب والمقاومة ، وإن هى إلا معارك تختلف نتائجها ، ثم تنتهى إلى الوعد الذى وعده الله لرسله، والذى لا يخلف ولو قامت قوى الأرض كلها فى طريقه ، الوعد بالنصر والغلبة والتمكين ، هذا الوعد سنة من سنن الله الكونية ، سنة ماضية » .

وقال : « ولقد يريد البشر صورة معينة من صور النصر والغلبة لجند الله وأتباع رسله ، ويريد الله صورة أخرى أكمل وأبقى ، فيكون ما يريده الله ..ولقد يهزم جنود الله فى معركة من المعارك ، وتدور عليهم الدائرة،ويقسو عليهم الابتلاء،لأن الله يعدهم للنصر فى معركة أكبر،ولأن الله يهيىء الظروف من حولهم ليؤتى النصر يومئذ ثماره فى مجال أوسع ، وفى خط أطول ، وفى أثر أدوم » .

وبعد هذا الإعلان القاطع أمر الله رسوله بالإعراض عمن عاندوا ولم يقبلوا الحق حتى يأتى الموعد لنصرك عليهم فى اليوم الذى تراهم فيه ويرون هم ما ينتهى إليه وعد الله فيك وفيهم ، فإذا أنزل الكتاب بهم وقريباً منهم صبحهم بما يسوء وقدم له النذير ، ثم كرر الأمر بالتولى عنهم وتهديدهم بوقوع العذاب ، كما يكرر الإشارة إلى هول ما سيكون ، ويدعه مهملًا يوحى بالهول المرهوب .

ولما ذكر فى هذه السورة كثيراً من أقوالهم الشنيعة التى وصفوه بها نزه نفسه عنها ، وخصها بالعزة ، وبالسلام من الله على رسله وبإعلان الحمد لله الواحد رب العالمين بلا شريك ، فجميع أنواع الحمد من الصفات الكاملة العظيمة؛الأفعال التى ربى بها العالمين،وأدر عليهم فيها النعم، وصرف عنهم بها النقم ، ودبرهم تعالى فى حركاتهم وسكونهم ، فى جميع أحوالهم كلها لله تعالى ، فهو المقدس عن النقص ، المحمود بكل كمال ، المحبوب المعظم .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا :

١ ـ إثبات عقيدة التوحيد الخالص ، وتنزيه الله تعالى عن الشريك والزوج والولد .

٢ ـ الملائكة عباد لله يقومون بتنفيذ أوامره ولكل منهم مقامه ووظيفته ، والجن من خلق الله تعالى .

٣ ـ وعد الله واقع لا محالة ، وكلمة الله قائمة .